مدخل عام

1. تعريف الدلالة والمعنى (لغة واصطلاحا):

لا شـك أنَّ المصـطلح الدلالي مثله مثل المصـطلح اللسـاني يعاني من فوضـى في الترجمة والاسـتعمال مما أدّى إلى تداخل المصـطلحات بمفاهيمها المختلفة، وهذا ما دعانا إلى ضـرورة التمييز بين مصـطلحين أسـاسـيين في علم الدلالة هما " الدلالة " و " المعنى "، ونبدأ بالتعريف اللغوي؛ لأنه يقوم على الوضـع اللغوي المتفق عليه من قبل الجماعة اللغوية، ثم المفهوم الاصطلاحي الذي يتأثّر بلا شك بالتعريف اللغوي.

1.1 الدلالة:

أ- **لغة:** جاء في معجم اللغة العربية المعاصـــرة لأحمد مختار عمر معنى مادة (د.ل.ل)

" دلَّ دَلَلْتُ، يَدُلّ، ادْلُلْ/ دُلَّ، دَلالةً ودِلالةً، فهو دَالّ ودليل، والمفعول مَدْلول. دلَّ الشَّخصَ إلى الشَّيءِ/ دلَّ الشَّخصَ على الشَّيءِ: أَرْشَده وهَداه إليه، قَادَه، عَيَّن لهُ المَكانَ " مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ [حديث]- ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾. [سبأ:14]. خيرُ الكلام ما قلَّ ودلَّ: أفضل القول ما يعبّر عن معنى كثير بوجيز الألفاظ- مَوْقِفٌ يدلُّ على ذكاءٍ/ مَوْقِفٌ يدلُّ على خجلٍ: يَنُمُّ عنه ".

نستنتج من هذا التعريف أن الدلالة هي الإرشاد والهداية والتوجيه والقيادة.

ب- اصطلاحا:

يعرِّف قاموس علوم اللسان لجون ديبوا الدلالة (Signification) بأنها:

في علم الدلالة، يجب التعارض بين المعنى والتســمية أو التعيين. وبشــكل عام فإن المعنى الناتج عن تطبيق النظام اللغوي يسمى دلالة: فيه محتوى الدلالة السوسيرية، جانب المحتوى لقيمة العلامة، الناتج عن ضـــغط النظام والذي يمكن التعرف عليه من خلال لعبة المعارضات النموذجية والتناقضات التركيبية[1].

أما مفهوم الدلالة في اللســـانيات الحديثة فهي تلك العلاقة الوطيدة بين دال العلامة الســـانية ومدلولها، فكلاهما يحتاج إلى الآخر فبحدوث التصـــور في الذهن يحضـــر الدال

---

[1] En sémantique, il importe d'opposer signification et désignation. D'une manière générale, le « sens » résultant de la mise en œuvre du système linguistique sera appelé signification : in s'agit du contenu du signifié saussurien, l'aspect de contenu de la valeur du signe, produit par la pression du système et repérable par le jeu des oppositions paradigmatiques et des contrastes syntagmatiques.

بعناصره الصوتية أو بالتلفظ بالدال يحضر المدلول، وبترابطهما تتحقَّق الدلالة. وتنتج الدلالة من قبل متكلمي اللغة الواحدة بشكل واحد لحصول التواضع عليها.

سنكتفي بتعريف الدلالة عند المحدثين لارتباطها بعلم الدلالة الحديث (Semantics) فهي موضـوعه وهدفه في الآن نفسـه، فتبحث عن شـروط العلامة اللغوية في حمل الدلالة وقدرتها على التعبير عن مدلولات كثيرة في دوال قليلة.

2.1 المعنى:

أ- لغة:

يتوقف (ابن فارس) في تحديده معاني ألفاظ العبارات عند ثلاثة مستويات وهي:

أ- المعنى: وهو مشتق من عنيت بالكلام كذا، أي قصدت وعمدت فتكون الدلالة الأولى للمعنى هي القصد.

ب- التفسير: أي التفصيل من أجل الشرح ولإظهار ما سُتر وخفي.

ج- التأويل: وهو آخر الأمر وعاقبته.

ويرى الجرجاني أن المعاني هي الصور الذهنية التي توضع لها ألفاظ مناظرة. وينبغي أن نلاحظ أن مفهوم المعنى أعم وأشمل من مفهوم الدلالة ما دام المعنى يمكن أن يكون للفظ كما يمكن أن يكون للعبارة أو للجملة، ولا يكون مقصورا بالضرورة على الألفاظ وحدها.

ب- اصطلاحا:

يقرُّ اللسـانيون، حسـب عبد الجليل مرتاض، بأن مفهوم المعنى أو تحديده صـعب الوصـول إليه مقارنة مع المدلول والدلالة والقيمة...وبالفعل، فإن المدلول إذا كان يعود

بوضوح إلى الحقل اللساني، وأن الدلالة تتعلّق بعلماء النفس واللسانيين، فإن المعنى (Sens) يغطِّي حقائق وتصوُّرات جوهرية من أجل استنفادها بمقاربة أو مقاربتين.

يعرِّف جان ديبوا المعنى (Sens) بأنه:

في المقابل، فإنّ المعنى الناتج عن استخدام اللغة للإشارة إلى المراجع (الأشياء، الصفات، العمليات، أو فئات الأشياء، الصفات، العمليات) سيسمّى التعيين. على سبيل المثال، يمكن معارضة المعنى المنتظم للكلمة المصطنعة كتسمية: يمكن فهم كلمة " كبير " في منطق المعنى على أنها يمكن للمرء أن ينظر إليها على مهل أو يمكن للمرء أن يأخذها في الاعتبار، ولكن تسميتها تقتصر على المعنى الثاني[2].

معنى الكلمة، حسب جورج مونان، هو تصور (Concept) أو مدلول، والذي لا يمكن أن يعرَّف إيجابيا بل سلبيا بالقياس إلى الكلمات الأخرى الحاضرة في السلسلة التي تشمل هذه الكلمة أو تُذكَرُ وحسب بوساطة التداعي؛ لأنها تشير أو يمكن أن تشير على حقيقة مماثلة لتلك التي تعيّن هذه الكلمة.

المعنى عند جون ليونز قريب من مفهوم القيمة عند سوسير، يضاد المرجع؛ فالمعنى يكون، وفق هذا التصور، مجموعة العلاقات الدلالية بين العلامات اللسانية في المحورين التركيبي والاستبدالي.

2. الفرق بين الدلالة والمعنى:

---

[2] Par opposition, le " sens " résultant de l'emploi de la langue pour renvoyer a des référents (objets, qualités, procès, ou classes d'objets, de qualités, de procès) sera dit désignation. On peut par exemple opposer le sens régulier d'un mot construit, comme désignation: considérable peut être compris dans une logique de signification comme " qu'on peut regarder a loisir " ou " qu'on peut prendre en compte ", mais sa désignation est limitée au second sens.

1.2 ترادف الدلالة والمعنى:

من الباحثين الذين لا يميّزون بين (الدلالة) و (المعنى) أحمد مختار عمر في كتابه علم الدلالة –وهو من أشهر مراجع علم الدلالة في المكتبة العربية–لا أجده يفرق بين الدلالة والمعنى، ففي عرضه لأسماء علم الدلالة يقول:" أما في اللغة العربية فبعضهم يسميه علم الدلالة ... وبعضهم يسميه علم المعنى...وبعضهم يطلق عليه اسم السمانتيك أخذاً من الكلمة الإنجليزية أو الفرنسية " (عمر، 1998، صفحة 11)

وأجده أيضاً يُسمي الفصل الثالث (الوحدة الدلالية) التي من أقسامها (الكلمة المفردة) ثم يُسمي الفصل الرابع (أنواع المعنى) للكلمات التي هي جزء من الوحدة الدلالية؛ لذلك أنا أظن أنه لا يفرق بين الدلالة والمعنى.

وكذلك فعل غيره كالدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (دلالة الألفاظ)، وموريس أبو ناضر في كتابه (إشارة اللغة ودلالة الكلام)

2.2 اتساع المعنى مقابل الدلالة:

يرى محمد علي الخولي أننا " عندما نتحدّث عن معنى الكلمة، فإننا نتحدّث عن علاقاتها مع الكلمات الأخرى داخل اللغة ذاتها. (ثريّ) تعني (غنيّ) أو ضد (فقير)، (كريم) ضد (بخيل). معنى الكلمة مرتبط بعلاقاتها مع الكلمات ذات العلاقة الواحدة في اللغة الواحدة. (الخولي، 2001، صفحة 25)

وأما الدلالة فتعني، عند الخولي، علاقة الكلمة بالعالم الخارجي، الكلمة، غالبا، تشير إلى كائن موجود في العالم، قد يكون إنسانا أو حيوانا أو نباتا أو جمادا أو مكانا، مثلا: نعمان، الأسد، الشجرة، الصخرة، أوروبا، على الترتيب. (الخولي، 2001، صفحة 25)

هناك فرق بين الكلمات والموجودات. كلمة (كرسي) ليست كرسيا، بل هي كلمة تشير إلى الشيء الذي ندعوه كرسيا. كلمة (باب) ليست بابا، وكلمة (مدرسة) ليست مدرسة. هناك التعبير اللغوي وهناك الموجود الخارجي. التعابير اللغوية جزء من اللغة، ولكن الموجودات الخارجية جزء من العالم. الدلالة (في هذا الكتاب) هي علاقة بين التعابير اللغوية والموجودات الخارجية. (الخولي، 2001، صفحة 26)

سندعو التعبير الذي يشير إلى الموجود الخارجي المعين **تعبيرا دالا**. وسندعو الموجود الخارجي المحدَّد الذي يشير إليه تعبير دال **المدلول عليه** أو اختصارا (المدلول). وسندعو العلاقة بين التعبير الدال والمدلول عليه **دلالة**. لاحظ أنه صار لدينا الآن ثلاث مصطلحات هامة: دلالة، تعبير دال، ومدلول عليه. الدلالة هنا ليست بمعناها العام، بل صار لها معنى خاص. والتعبير الدال ليس أي تعبير، بل له معنى خاص. والمدلول عليه (هنا) صار له معنى خاص. انتبه إلى المعاني الاصطلاحية الخاصة لهذه المصطلحات. سوف نستعمل هذه المصطلحات حسب معانيها الخاصة الجديدة. (الخولي، 2001، صفحة 26)

يميّز الخولي بين المعنى والمدلول عليه فيما يلي (الخولي، 2001، الصفحات 29-30):

معنى التعبير هو علاقته بسواه من التعابير اللغوية من حيث الترادف والتضاد وسواهما. مدلول التعبير هو موجود معيَّن خارج اللغة، أي موجود معيَّن في العالم الخارجي.

المعنى ليس للكلمات فقط، بل للعبارات والجمل أيضا، مثلا: كتاب، في الكتاب، الكتاب مفيد (على التوالي). ولكن المدلول عليه يتعلَّق بالتعابير الدالّة فقط. التعبير الدال له مدلول عليه، ولكن الجملة ليس لها مدلول عليه.

المعنى مجرّد، ولكن المدلول عليه محسوس في الغالب وموجود في العالم الخارجي.

لكل تعبير معقول معنى، ولكن ليس لكل تعبير مدلول عليه. هناك تعابير عديدة ليس لها مدلول عليه، مثلا: العلم مفيد. هذا القول ليس لتعابيره مدلولات؛ إذ لا يوجد موجود خارجي معيَّن في هذه الحالة.

3.2 اتساع الدلالة مقابل المعنى:

يعتبر بعض اللغويين أن الدلالة عبارة عن مصطلح عام له علاقة بالعلامات اللغوية وغير اللغوية، أما مصطلح المعنى فلا يعني إلا الألفاظ اللغوية، فلا تطلق على العلامات غير اللغوية. (منقور، 2001، صفحة 23)

ثم رجّح الرأي الثالث فقال:" على الرغم من أن مصطلح الدلالة عندنا أوسع وأشمل من مصطلح المعنى؛ إذ يدخل ضمن الدلالة الرموز اللغوية (الألفاظ) وغيرها من أدوات الاتصال كالإشارات والرموز والعلامات. ونرى أنَّ الفرق بينهما مما يهتم به دارسو الدلالة وواضعو المناهج" (نهر، 2007، صفحة 29)

1-توطئة:

2-مفهوم الدرس الدلالي:

3-الدرس الدلالي عند الهنود:

ظهرت في الهند القديمة دراسات للغة السنسكريتية "لغة الهند الكلاسيكية" على مستوى عال من التنظيم والدقة. ولربما كان الهنود أسبق –حتى من اليونانيين– في هذا الميدان، سواء من ناحية الزمن أو ناحية القيمة. وقد أثرت عن الهنود دراسات، في فروع علم اللغة المختلفة تتناول الأصوات والاشتقاق والنحو والمعاجم، كما تتناول كثيرًا من مشكلات فقه اللغة، ويرجع أقدم هذه الدراسات إلى فترة مجهولة لنا، أما أقدم ما وصلنا منها فيرجع إلى حوالي القرن الخامس قبل الميلاد.

ويحتاج عرض الدراسات اللغوية عند الهنود إلى حيز كبير لا يسمح به المقام، ولذا سنكتفي بإشارات سريعة، تاركين التفصيلات إلى بحث آخر ١.

أما الدراسة الصوتية عندهم فكانت متنوعة وشاملة لمعظم جوانب هذا العلم. فدرسوا الصوت المفرد وقسموه إلى علل وأنصاف علل وسواكن وقسموا العلل إلى بسيطة ومركبة، كما قسموا السواكن بحسب مخارجها. وتوصل الهنود إلى أثر القفل في إنتاج الأصوات الانفجارية، والفتح في إنتاج أصوات العلة والتضييق في إنتاج الأصوات الاحتكاكية. وتحدث الهنود عن كيفية تسرب الهواء من التجويف الحنجري، وذكروا أنه إذا فتح ما بين الوترين الصوتيين ينتج النفس وإذا ضيق ما بينهما ينتج الصوت، وصرحوا بأن النَّفَس يحدث في حالة الأصوات الساكنة المهموسة، والصوت في حالة السواكن المجهورة أو العلل.

ولم يكتف الهنود بالحديث عن الصـــوت المفرد فتحدثوا عن المقطع، وكان حديثهم مفصـــلًا بشـكل مثير للدهشـــة. كذلك وضـــع الهنود قواعد دقيقة للنبر في لغتهم القديمة، واعتبروه من خصائص العلل لا السواكن، وقسموه إلى درجات ثلاث.

ويكفي الهنود فخرًا أن تكون جهودهم الصوتية هي الأساس الذي بني عليه علماء الأصوات المحدثون. يقول بروفسر ألن: "إن الاتصال بين الهنود القدماء والمدارس الغربية الحديثة في دراسة اللغة أشد وأوثق في مجال الأصوات عنه في مجال النحو". ويعترف العلامة فرث الإنجليزي أن المدرسة الأصواتية الإنجليزية لم تنشأ في القرن التاسع عشر إلا على أكتاف المعلومات التي قدمها وليم جونز عن النحاة والأصواتيين الهنود.

وأما في مجال النحو، فإنه من غير المبالغ فيه أن نقول: إن هذا العلم لم يلق من العناية في أي بلد من بلاد العالم مثل ما لقيه من الهنود. وقد كان في الهند القديمة ما يقرب من اثنتي عشرة مدرسة نحوية مختلفة، وأكثر من ثلثمائة مؤلف في النحو، ووصلتنا فعلًا دراسات تزيد على الألف عدًّا بعضها أصلي وبعضها شارح.

ويمثل بانيني١ فترة النضج في الدراسات النحوية عند الهنود، ولذا نال كتابه المسمى "الأقسام الثمانية" شهرة غطت على أي مؤلف آخر سبقه أو لحقه. وقد كتب بانيني تأليفه في شكل قواعد مختصرة، وبذل فيه جهدًا ضخمًا للتوفيق بين الآراء والاتجاهات المتعارضة التي كانت موجودة حينئذ.

وأهم ما يميز النحو الهندي:

١- أنه بدأ بجمع المادة اللغوية وتصنيفها، ثم انتقل إلى استخلاص الحقائق منها. فنقطة البداية في النحو الهندي مختلفة عنها في اليوناني، الذي بدأ من الفلسفة وحاول أن يطبق القواعد الفلسفية على حقائق اللغة.

٢- أنه سبق النحو اليوناني في تحديد أقسام الكلام "اسم - فعل - حروف إضافة - أدوات".

٣- أنه حلل هذه الأقسام إلى عواملها الأولية فميز بين الجذر أو الأصل، وبين الزيادة أو الحروف التشكيلية.

٤ عرف النحو الهندي الأعداد الثلاثة: المفرد والمثنى والجمع منذ عصر مبكر.

٥- قسم النحو الهندي الفعل السنسكريتي إلى ثلاثة أقسام بحسب الزمن وهي: ماض وحاضر ومستقبل.

وأما الأعمال المعجمية عند الهنود فقد بدأت في شكل قوائم تضم الألفاظ الصعبة الموجودة في نصوصهم المقدسة، ثم تطور هذا النظام فألحق بكل لفظ في القائمة شرحًا لمعناه، ويمكن أن يعتبر هذا العمل من نوع "معاجم الموضوعات" أو "معاجم المعاني" وبعد ذلك ظهرت كتب لا تقصر نفسها على ألفاظ النصوص المقدسة، وأقدم ما وصلنا من هذه الكتب معجم ظهر في القرن السادس الميلادي، أو قبله، لمؤلف بوذي اسمه أمارا سنها Amara Sinha وقد ضم هذا المعجم "واسمه Amara Kosa" جزءا ضم كلمات المترادفات، وجزءا في كلمات المشترك اللفظي، وجزءا عن الكلمات غير المتصرفة والكلمات المذكرة أو المؤنثة أو المحايدة: ويعيب هذا الكتاب وأمثاله أنه كتب في شكل منظوم ليسهل حفظه وأنه لم يتبع أي ترتيب ييسر اللجوء إليه والعثور على المراد بسرعة، فيما عدا المشترك اللفظي الذي رتب بحسب الحروف الساكنة في أواخر كلماته. ولا نجد عملًا آخر

يستحق الإشارة إليه بعد ذلك سوى معجم كتب في القرن الحادي عشر الميلادي، وهو معجم ضـــخم رتبت الكلمات فيه أولًا بحســـب عدد مقاطعها ثم بحســـب الجنس "مذكر ومؤنث" ثم بحسب الحرف الأول.

4-الدرس الدلالي عند اليونان:

أول عمل لغوي في اليونان -وقد تم بالطبع قبل وصول أي تسجيلات- كان تطوير نظام هجائي للكتابة في أوائل الألف قبل الميلاد. وفي هذا النظام الهجائي مثل اليونانيون كل الأصوات سواء السواكن منها والعلل، وفيما بعد مثلوا كذلك النبر برموز خاصة به١.

أما التفكير اللغوي فقد بدأ مرتبطًا بالفلسفة Philosophia وهي علم كان يغطي مجالًا أوسع عند اليونانيين القدماء من المصطلح philosophy اليوم. ولذلك فإن أسماء اللغويين اليونانيين الأولين هي أسماء فلاسفتهم الأولين. وربما كان أقدم ما وصلنا من أبحاث اليونانيين يرجع إلى حوالي القرن السادس قبل الميلاد على أيدي السوفسطائيين. وبعد ذلك نجد سقراط يدلي برأيه في بعض مشكلات اللغة ويليه أفلاطون "٤٢٨ق م إلى ٣٤٨ ق م" وأرسطو "٣٨٤ ق م إلى ٣٢٢ ق م"٢.

وربما كان من أهم المشـاكل التي لفتت أنظار اليونانيين موضـوع اللغة نفسـها وهل هي أمر طبيعي أو عرفي ناتج عن اتفاق البشـر. وقد خصـص أفلاطون جزءًا من محاوراته لمعالجة هذه القضـية وعرض وجهتي النظر المختلفتين. كما عالج أصـل الكلمات أو موضـوع العلاقة بين الاسـم والمسـمى٣. وتطور النقاش بعد ذلك ليصـل إلى أيدي القياسـيين Analogists والشذوذيين Anomalists، فقال الأولون: إن اللغة فطرية وقياسية ومنطقية، وقال الآخرون: إن عدم

اطراد اللغة خير دليل على بطلان الرأي الأول١. وعلى الرغم من أن أفلاطون لم يسبق آراءه اللغوية بشكل مترابط، ولم يجمعها في مكان واحد– فقد عده الباحثون رائد الدراسات النحوية اليونانية "وأول فاحص للمشكلات النحوية"٢. ويعد أفلاطون أول من فرق بين الاسم والفعل كما أنه أعطانا تقسيمًا ثلاثيًا للأصوات يمكن أن يكون: أصوات العلة –الأصوات الساكنة المجهورة– الأصوات الساكنة المهموسة٣. وأقر أرسطو تقسيم أفلاطون للكلمة إلى اسم وفعل وزاد عليها قسمًا ثالثًا سماه رابطه. وذلك أنه شعر أن الأفعال والأسماء تؤدي معاني مستقلة في حين أن سائر الكلمات ليس لها إلا الوظيفة النحوية فقط٤.

وبعد ذلك انتقلت الدراسات اللغوية إلى أيدي الرواقيين Stoics الذين فصلوها عن الفلسفة واعتبرت حينئذ فرعًا مستقلًا تحت الحقل الواسع المسمى Philosophia. وقد تأسست مدرسة الرواقيين على يد Zeno "حوالي ٣٠٠ ق م". وأعطى هؤلاء شخصية مستقلة لكل من الأصوات والنحو والاشتقاق، وإن كان معظم اهتمامهم منصبًا على النحو وحده، حتى اعتبر بعضهم بدء النحو بمعناه الحديث على أيدي هؤلاء الرواقيين٥.

وعلى أيدي الرواقيين زيد قسم رابع ثم خامس إلى أقسام الكلمة الثلاثة عند أرسطو، كما قدمت شروحًا مستفيضة لآراء أرسطو اللغوية. كذلك يبدو أن الرواقيين كانوا أول من درسوا العدد والمطابقة بين الاسم
والفعل، وحالات الاسم الإعرابية، وحالات الفعل من حيث الصيغة والزمن١.

وبعد الرواقيين تحول مركز الدراسات النحوية إلى الإسكندرية وظهرت مدرسة نحوية كاملة في الاسكندرية خلال القرن الأول قبل الميلاد كما سنعرض فيما بعد. أما في المجال فقد أنتجوا عددًا ضخمًا من المعاجم. وتقول دائرة المعارف البريطانية: إن Athenaeus قد اقتبس

نصوصًا من ٣٥ عملًا معجميًّا فقدت جميعها٢. ولكن كثيرًا من هذه المعاجم تم إنتاجه في الاسكندرية ولذا نترك الحديث عنها الآن إلى مكان آخر.

ويعتبر العلماء القرون الأولى بعد الميلاد هي العصر الذهبي للمعاجم اليونانية وبخاصة في مدينة الإسكندرية كما سنتحدث فيما بعد، ولكن اشتهر من بين المعاجم اليونانية معجم أبو قراط Hippocrate الذي ألفه Glaucus عام ١٨٠ ق م وهو معجم ألفبائي٣.

5-الدرس الدلالي عند المصريين القدامى:

اتجهت أبحاثهم إلى عدة فروع من الدراسات اللغوية، فدرس بعضهم الآثار الأدبية اليونانية القديمة دراسة فلولوجية، واتجه بعضهم إلى الدرس النحو، وفريق ثالث اتجه إلى وضع المعاجم. ودارت كل هذه الدراسات حول اللغة اليونانية وتركزت جميعها في الاسكندرية.

أما الدراسة الفلولوجية فقد وجدت في الإسكندرية في وقت مبكر جدًّا. وكان الهدف منها تصحيح النصوص المكتوبة وتفسيرها والتعليق.

عليها١. وظهرت في القرن الثالث قبل الميلاد شروح على أشطر هوميروس وغيره من الشعراء. كما وجه اهتمام إلى دراسة المفردات وجمع الألفاظ الصعبة أو الكلمات الشعرية أو الكلمات التي تنتمي إلى لهجات خاصة ٢.

وأما النحو فنبغ فيها علماء كثيرون أبرزهم Dionysius Thrax الذي ألف في النحو كتابًا اشتمل -ضمن ما اشتمل عليه- على آراء النحاة السابقين. ونال كتابه شهرة جعلته المرجع الأول للنحو اليوناني في الألف والثمانمائة سنة التالية. وقد أكد ديونسيوس العلاقة بين النحو

والأدب، وأهمل كلية الكلام العامي، وزاد في أقسام الكلام حتى بلغ بها ثمانية، وكان بكل تأكيد تقدمًا كبيرًا بالنسبة لأفلاطون وأرسطو٣.

ويقول عنه أحد الباحثين: "إن جزءًا كبيرًا من نحونا مدين له. لقد كان عمله فذًّا في مدرسته لثلاثة عشر قرنًا. ويدين له بالفضل كذلك النحاة اللاتين القدماء وأهل العصور الوسطى"٤.

ومن أهم التجديدات والإضافات التي قام بها لغويو الاسكندرية رفضهم بعض أقسام الكلام التي توصل إليها سابقوهم وإضافتهم أقسامًا جديدة مثل حروف الإضافة Prepositions ومثل الضمير Pronoun، ومن ذلك فصلهم اسم الفاعل واسم المفعول عن الفعل.

وتناولوا الاسم من حيث التذكير والتأنيث ومن حيث العدد، وقسموا الفعل باعتبار الزمن والصيغة، وغير ذلك كثير.

وهناك نقطة أخرى هامة في نحوهم هي أنهم اهتموا فقط بالاستعمالات
الموجودة في الشعر والكتابات النثرية وأهملوا ما عداهما١.

أما في مجال المعاجم؛ فإن أقدم معجم يوناني معروف لنا هو معجم Appollonius السوفسطائي، وكان موجودًا في الاسكندرية في عصر Augustus ويتناول هذا المعجم الكلمات التي استعملها هوميروس٢. ولكن العصر الذهبي للمعاجم كان في القرون التي تلت المسيحية، وشمل ذلك معاجم كثيرة عرفنا من أسمائها.

١- معجم Orion " / "٣٩٠ - ٤٦٠"، الخاص بالاشتقاق وقد ألفه بمصر.

٢- معجم Helladius الذي ألفه بالأسكندرية في القرن الخامس وكان ترتيبه ألفبائيًا.

٣- معجم Ammonius وكان معاصرًا للسابق، وقد خصص معجمه للكمات المتفقة في اللفظ المختلفة في المعنى٣.

٤- معجم اللهجات والسمات المحلية المؤلفة Hesychius٤ وغير ذلك.

6-الدرس الدلالي عند السريانيين:

احتك السريان باليونان منذ القدم، واختلطوا بهم إما بحكم الجوار أو بحكم خضوعهم لسلطان اليونان. ولذلك ترجم السريان النحو اليوناني. إلى السريانية. ونقلوا إلى لغتهم كثيرًا من الكلمات والاصطلاحات.

وليس هذا فحسب، بل قلدوا اليونان في نحوهم حين وضعوا قواعد لغتهم.

أول نحوي سرياني نعرفه هو يوسف الأهوازي أستاذ مدرسة نصيبين المتوفي سنة ٥٨٠ م "حوالي ٤٢ ق هـ" فقد كتب رسالة في النحو، وترجم كتابًا في نحو اللغة اليونانية اسمه: "الصناعة النحوية" إلى السريانية. كذلك اخترع بعض علامات للشكل، وكتب رسالة عن الكلمات التي تكتب بصورة واحدة ولكن يتعدد معناها.

وقد عثر على قطعة من كتاب ألف في القرن السادس في نحو السريان يتضح منها أن مؤلفها اتبع قواعد النحو اليوناني.

وفي القرن السابع ظهر نحاة سريان ينسب إلى بعضهم ابتداع نقط الإعجام في السريانية واختراع الحركات، ويعد يعقوب الرهاوي الذي ولد حوالي عام ٦٤٠ م "١٩ هـ" وتوفي عام ٧٠٨ م "٩٠ هـ" أول من وضع نحوًا شاملًا، وقواعد للغة السريانية مبنية على النحو اليوناني، وقد عثر على قطع من هذا الكتاب١ فيها حديث عن الصوائت "الحركات" وقد استعارها من اليونانية ووضعها أولًا بين الحروف، ثم قام بوضعها فوق الحرف أو تحته في المكان الذي يوجد به فراغ٢.

ووجدت طريقة ثالثة أقدم من هاتين، وهي وضع نقطة أو نقطتين، بطريقة رأسية أو أفقية أو مائلة، فوق الحرف أو تحته، ليوضح شكل حركة من الحركات.

وفي القرنين الثامن والتاسع ظهرت بعض مصنفات في نحو السريانية، وكان أشهر المؤلفين فيه أبو زيد حنين ابن إسحاق المتوفي سنة ٨٧٣.

"٢٦٠هـ"١.

وقد ألف معظم أعماله بالعربية، وكذلك مترجماته من اليونانية. وقد عرفنا له ثلاثة كتب هي. "النحو السرياني"، و"المعجم السرياني"، كذلك كتب حنين رسالة عن المترادفات.

وقد مد حنين ومدرسته في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين المسلمين بكل ما يعرفونه عن العلوم اليونانية سواء أكان طبًّا أم رياضة أم فلسفة٢.

أما في القرن العاشر فنجد أن التأليف بالسريانية قد ضعف، إذ أصبح معظم المؤلفين يفضلون –حتى في الكتابات الدينية والرسمية– الكتابة بالعربية. وقد فعل ذلك علماء مثل:

أبو علي عيسى بن إسحاق ابن زرعة "٩٤٣ – ١٠٠٨م" وأبو زكريا يحيى بن عدي "توفي ٩٧٤ عن إحدى وثمانين سنة"٣.

7–الدرس الدلالي عند العبرانيين:

يبدو أن الدراسات اللغوية العذرية لم تزدهر في فترة ما قبل الإسلام، وأن أهم الأعمال التي قدمت لم تظهر إلا بعد اختلاطهم بالعرب، وخوفهم من اندثار لغتهم. لانصراف الناس عنها وتعلمهم اللغة العربية. يقول كاتب مادة Grammar في دائرة المعارف اليهودية: "إن الحافز لدراسة الفلولوجي العبري قد قوي بعامل خارجي، وبالتحديد بالمثال الذي قدمته اللغة العربية. وقد استمرت اللغة العربية تؤثر على علم اللغة العبري وكان النموذج العربي هو الذي احتذاه العبرانيون ثم طوروه".

ويقول Hirschfeld: "هناك شواهد مؤكدة أن النفوذ العربي كان موجودًا حتى منذ اللحظة الأولى للنشاط اللغوي العبري. فإننا نجد الأسماء العبرية للحركات الثلاث الرئيسية هي نفسها الأسماء العربية "الفتحة – الكسرة– الضمة". وكذلك الكلمة المستعملة للعلة تعد نقلًا حرفيًّا من العربية "حركة"١. وينص سيعد الفيومي "ولد في صعيد مصر ٨٩٢ ومات ٩٤٢م" في مقدمة معجمه على السبب في تأليفه بقوله: "إن اليهود يعطون اهتمامًا قليلًا للغتنا الفصيحة، واهتمامًا أقل للكلمات الصعبة، وأسلوبهم مليء بالأخطاء كما أن شعرهم معيب من ناحية القافية، وغير واضح، وتافه"٢.

ومع هذا دعنا نلقي نظرة على أهم الأعمال التي قدمها اليهود عن اللغة العبرية قبل الإسلام أو بعده حتى القرن الرابع الهجري:

بدأت دراسة اللغة والنحو في العبرية لخدمة الكتاب المقدس ثم استقلت٣ وقد أطلق على البداية الأولى للنحو العبري باسم Masorah وكان اهتمام المشتغلين بها محصورًا في التفرقة بين

الصيغ المختلفة للكلمات الموجودة في الكتاب المقدس، وربط الأشكال المتشابهة في مجموعات، وتسجيل غرائب النص. ولكن عملهم لم يعط أي اهتمام
للتقسيمات النحوية، ولا لحصر الصيغ الموجودة في اللغة العبرية. وظلت الـ Masorah مزدهرة حتى بعد ظهور علم النحو.

وحتى من قبل نشأة علم النحو وجدت دراسات تتعلق بتصنيف السواكن والعلل، وتقديم النصائح لقارئ النص المقدس، كما وجد نظام للنقط ووضعت قواعد للكتابة، والضبط بالشكل، وأشير إلى ظاهرة النبر ولوحظت الفروق في أشكالها١.

وهناك خلاف كبير حول ما إذا كان شرف البدء بالأعمال النحوية يرجع إلى الربانيين Rabbanites أو القرائين Qaraites ولكن يمكن أن يقال: إن القرائين كانوا أكثر اهتمامًا بالنحو من الربانيين. واستنادًا إلى الشواهد التاريخية يمكن القول أن الأحكام النحوية الأولى التي وصلت إلينا ترجع إلى Nissi b Noah الذي برز في النصف الأول من القرن التاسع وكانت أعماله مكتوبة بالعبرية، لأنه من المعروف أن اليهود لم يستعملوا اللغة العربية لكتاباتهم قبل القرن العاشر الميلادي٢.

وفي القرن العاشر الميلادي نجد عالمًا كبيرًا سبق أن أشرنا إلى اسمه وهو سعيد الفيومي الذي أنتج أعمالًا يدخل بعضها في عداد النحو وبعضها الآخر في عداد المعاجم. والتأثير العربي واضح عليه لأنه في أول عمل أنتجه، وكان له من العمر ٢١ سنة، أشار إلى عناوين مؤلفات الكتاب العرب الذين عالجوا فصاحة الأسلوب.

وتتلخص جهود سعيد الفيومي فيما يأتي:

1 – عمل معجم يسمى Agron، وقد اجتاز تأليف هذا المعجم مرحلتين اثنتين. فقد ظهر أولًا في شكل معجم عبري خالص مرتب ترتيبًا هجائيًّا تبعًا لبدايات الكلمات ونهايتها. وكل مادة كانت توضح باقتباسات من الكتب المقدسة. وكان غرض المؤلف مساعدة الشعراء الدينيين في نظم القصائد من النوع المسمى Acrostics١ وفي العثور على قواف مناسبة لقصائدهم٢.

ومن سوء الحظ أن قدرًا صغيرًا منه فقط قد حفظ لنا، وبذا لا يمكننا أن نكون فكرة كبيرة عن محتوياته، ولكننا نملك المقدمة العبرية التي تعطينا بعض المعلومات الهامة. وفي هذه المقدمة تحدث المؤلف عن موضوعات أساسية مثل تكوين الكلمات من جزءين يعد واحد منهما أساسيًّا والآخر إضافيًّا. والجزء الإضافي يقوم بوظيفة الجمعية والملكية والزمن، في حين يبقى الجزء الأساسي من الكلمة غير متغير.

ويبدو أن سعيد الفيومي قد أحس بنوع من عدم الرضا عن عمله. ولذا نجده فيما بعد يلبسه ثوبًا جديدًا ويظهره في شكل آخر، إذ قام بإضافة ترجمة عربية للكلمات موضوع البحث، كما كتب مقدمة عربية ووضع له عنوانًا جديدًا هو "كتاب الشعر".

٢– تمثلت اهتمامات سعيد فيما بعد في جمعه لرسائل نحوية اثنتي عشرة تحت عنوان "كتب في اللغات" وقد ضاع هذا المجموع فيما عدا بعض اقتباسات منه بقيت في كتاب آخر له شرح فيه "كتاب الخليقة".

2 – شرح "كتاب الخليقة"، وفي هذا الشرح ناقش الأصوات الحلقية Guttural في أماكنها المتعددة في الكلمات، والتغيرات المنطقية

التي تلحقها حينما ترفض أي نوع من التضعيف. وهو في بحثه هذا لم يكن مسبوقًا، لأن هذه الأصوات لم يوجه لها اهتمام خاص في اللغة العربية.

٤- كذلك أخرج سعيد عملًا معجميًّا ثانيًا يتمثل في قائمة مفرداته للكلمات التي وردت في الكتاب المقدس مرة واحدة. والمفردات في هذه القائمة ليست مرتبة بأي شكل وقد أضيفت إليها تعليقات وشروح، وترجمة عربية لبعض الكلمات١.

وهناك معاصر لسعيد الفيومي اشتغل بالنحو هو أبو يوسف القرقساني Qirqisani، وقد تتلمذ معه على مدارس بغداد، وظهرت آثار ثقافته العربية في أعماله النحوية. وأهم ما تركه عملان نحويان أحدهما تأليف والآخر شرح.

وقد اعتبره مؤلف: "التاريخ الأدبي للنحاة المعجمين العبريين" مثلًا لأحسن نموذج لمدرسة القرائين ووضعه في مرتبة تالية لسعيد الفيومي وصف أبحاثه بالدقة والتعمق في فهم اللغة العبرية٢.

وهناك أعلام أخرى يهودية لمعت في هذا القرن مثل:

داود بن إبراهيم الذي كان من مواطني مراكش. وقد ألف معجمًا يشبه معجم سعيد الفيومي، وقسم الكلمات العبرية إلى أربعة أقسام تبعًا لعدد الحروف التي اعتبرها أصلية، بادئًا بالكلمات التي تشتمل على أصل واحد. واعتبر المؤلف ما زاد على الأربعة استثناء. وقدم المؤلف إلى جانب هذا عملًا نحويًّا، وقام ببعض الأبحاث المقارنة٣.

ميناحيم بن ســروق الذي ألف معجمًا عبريًّا خالصًــا رتب مادته ترتيبًا هجائيًّا. ولكن المؤلف فشل في التعرف على بعض الجذور فرتب كثيرًا.
من الكلمات بحسب صورتها الخارجية. ولهذا فإنك تجد كلمات ذات أصول اشتقاقية متباعدة، تجدها في مكان واحد. وقد أعطى المؤلف في معجمه قائمة بالكلمات ذات الأصل الواحد، وأخرى بالكلمات ذات الأصلين. وقد تحدث ميناحيم عن حروف الهجاء التي لا تأتي إلا أصلية فقط وعن الحروف التي تأتي أصلية وزائدة. وقد كان ميناحيم من سكان قرطبة وولد عام ٩١٠ ومات عام ٩٧٠م١.

يهوذا بن حيوج الذي ارتفع بعلم اللغة العبري إلى مستوى علمي رفيع. وقد كان من مواطني فاس ومن تلاميذ ميناحيم السابق ذكره. وبلغ من علو مكانته أن اعتبره بعض المؤرخين أول النحاة العبريين، وقد ساعدته معلوماته العميقة في العربية ودراساتها على التعمق في البحث اللغوي العبري. وقد وصلتنا أجزاء من بعض مؤلفاته٣ كما وصلنا أحد أعماله كاملًا متمثلًا في ثلاث رسائل كتبته باللغة العربية.

وفي إحدى هذه الرسائل نجد دراسة فونولوجية متقدمة، تعالج العلل والسواكن

والتنغيم والنبر والمقطع.

ومن الخصائص الفونولوجية التي ذكرها المؤلف أنه لا توجد كلمة عبرية تبدأ بساكن غير متبوع بعلة، كما لا توجد كلمة تنتهي بعلة.

وبلغ من عمق تحليلاته ودقتها أن اعتبره بعضـــهم صـــاحب "أول محاولة لوضـــع قواعد فونولوجية للغة العبرية مؤسسة على أسس علمية"٣.

وقرب نهاية القرن العاشر ظهر عالمان يستحقان الإشادة وهما:

أبو الوليد بن جناح القرطبي الذي ولد في نهاية هذا القرن واشتغل بالطب أولًا ثم اتجه لدراسة اللغة العبرية. وقد ألف كتبًا كثيرة أشهرها.

"أ" كتاب بالعربية أسماه "كتاب المستلحق" وهو ذيل على عمل يهوذا بن حيوج.

"ب" كتاب بالعربية أسماه "كتاب التنبيه" رد فيه اعتراضات خصومه واحد بعد الآخر، وعالج فيه بعمق كثيرًا من الصيغ الشاذة.

"ج" كتاب ثالث اسمه "رسالة التقريب والتسهيل" يعد تعليقات على كتاب ابن حيوج، ويعالج جزؤه الأول موضوعات فونولجية، وجزؤه الثاني مشكلة الأصول الثلاثية للكلمات، وجزؤه الثالث الكلمات ذات الأصل الثالث الضعيف "الناقصة" والكلمات المضعفة.

"د" كتاب في النحو اسمه "اللمع" يحتوي على ٤٦ فصلًا ويسير على النمط العربي.

"هـ" كتاب اسمه "كتاب الأصول" وهو معجم عبري باللغة العربية١.

ويلاحظ أنه كتب جميع مؤلفاته باللغة العربية.

وأبو الفرج هارون الذي أتم عملًا لغويًّا ضخمًا عام ١٠٢٨ م وأسماه "الكتاب الشامل في الأصول والفروع للغة العبرية". ويحتوي الكتاب على ثمانية أبواب تعالج الستة الأولى منها مسائل نحوية، والسابع. يشكل معجمًا، في حين أن الأخير يعالج الكلمات الآرامية الموجودة

في الإنجيل. وفي الجزء المعجمي كان يأخذ الأصل الثلاثي ويناقشه ويعرض معانيه المختلفة واستعمالاته، ثم بعد ذلك يعيد ترتيب حروف الكلمة بشكل آخر ويفعل ما سبق فعله. وهكذا يقلب الكلمة على احتمالاتها الواردة في اللغة. وله أعمال لغوية أخرى٢.

8-الدرس الدلالي عند الصينيين:

يقول "فيشر" في مقدمة معجمة اللغوي التاريخي: "وإذا استثنينا الصين فلا يوجد شعب آخر يحق له الفخار بوفرة كتب علوم لغته وبشعوره المبكر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها بحسب أصول وقواعد غير العرب"١ والذي يهمنا في هذه العبارة ما شهدت به من فضل للصينين في مجال الدراسة اللغوية. وهذه حقيقة نريد أن نعرضها الآن في إيجاز وتركيز.

ربما كان أول عمل صيني معجمي قديمًا جدًّا، ولكن أول محاولة منظمة للتعريف بالأشكال التعبيرية كانت العمل المسمى Eah Ya الذي يمكن أن يؤرخ بالفترة ما بين ٢٠٠ قبل ميلاد المسيح. وهو أشبه بمعجم من معاجم المعاني التي توزع الكلمات تحت موضوعات أو معان مختلفة.

.Hu shin

وفي نهاية القرن الأول الميلادي ظهر أول معجم حقيقي وهو معجم Shwo wan لمؤلفه. وعلى الرغم من أن هذا المعجم يشرح حوالي ١٠.٦٠٠ كلمة فهو ليس معجمًا شاملًا، بل لا يحتوي حتى على جميع الكلمات التي وردت في مقدمته.

وقد كان جل اهتمام المؤلف منصبًّا على الكلمات التي وردت في النصوص الدينية.

وبعد ذلك ظهر نظام جديد للمعاجم الصينية رتبت فيه الكلمات.

صوتيًّا تبعًا لنطقها. فكل الكلمات ذات الصوت الواحد تعالج معًا في باب واحد بغض النظر عن اختلاف طرق كتابتها. وأول معجم صيني يتبع هذا النظام هو معجم Hu fa Yen الذي كتب بين عامي ٥٨١، ٦٠١م.

وكان للصينين دراسات صوتية، لكن يبدو أنهم مدينون في التوصل إليها إلى الهنود الذين نقلوا علومهم إلى الصين على يد الرهبان البوذيين فمنهم عرف الصينيون كيف يصنفون أصوات الكلام معًا تبعًا لمكان المنطق١.